ترجمة كلمة

الأستاذ الدكتور

**مايكل انطواني جمبرون**

جائزة الملك فيصل العالمية

للطب العام 1427هـ/ 2006م

الاثنين 1427/03/05 هـ الموافق 2006/04/03

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز

ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء،

وزير الدفاع والطيران والمفتش العام

أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة

يسرني بداية أن أعبّر عن عميق تقديري وامتناني لمؤسسة الملك فيصل الخيرية على هذا الشرف العظيم، وأن أحيي المؤسسة على جائزتها الفريدة التي تعبّر عن أهميّة الاحتفاء بما يتحقق من إنجازات في العلوم والآداب، فتلك الإنجازات ملك للحضارة الإنسانية كلها، تشارك في إرساء دعائمها وتحقيق رسالتها دون حدود أو فواصل.

إنّ جائزة الملك فيصل العالمية في الطب، التي أتشرف بتسلمها هذا اليوم، تجسّد الهدف النبيل من وراء الاستفادة من العلوم البيولوجية في تخفيف معاناة الإنسان وتحريره من المرض. وها نحن نشهد عصراً فريداً بالنسبة لتطور العلوم البيولوجيّة بصفة عامة، ولنا نحن الأطباء بصفة خاصة. إننا نسعى إلى فهم نشأة الأمراض على مستوى الخلايا والجزيئات، وفك طلاسم أمراض القلب والأوعية الدموية والمخ والجهاز العصبي والأعضاء الحيوية الأخرى مستفيدين من الوسائل المبتكرة التي توصل إليها الباحثون من خلال التعاون العالمي في مشروع الجينوم البشري. ولا شكّ أنّ معرفة أسس الأمراض ومنشئها هو السبيل الأمثل إلى سرعة تشخيصيها، وعلاجها بفاعلية، وصولاً إلى استئصالها.

لقد كرّستُ كلّ حياتي المهنيّة لدراسة أمراض القلب والأوعية الدموية، مُركّزاً على "الطبقة الوعائية" وهي الطبقة وحيدة الخليّة التي تبطّن الجهاز القلبي الوعائي الذي يحتوي على الدم. وقد أسعدني حظّي منذ وقت مبكّر وأنا مازلت طالباً في كلية الطب في جامعة هارفارد بمقابلة الدكتور رمزي سليمان قطران. وكان بدوره في ريعان شبابه. لقد ولد في حيفا في فلسطين وتخرّج من كليّة الطب في الجامعة الأمريكية فى بيروت ثم جاء إلى الولايات المتحدة لإجراء دراسات عليا فى علم الأمراض في بوسطن، وقد أصبح أستاذي واستطعت من خلال توجيهاته لي أن أبدأ مسيرتي على الطريق الذي قادني إلى هنا الليلة. وأسعدني الحظ كذلك إذ تمكنت – وأنا في بداية حياتي العمليّة – من اكشاف طريقة بسيطة لعزل خلايا جدار الأوعية الدمويّة واستنباتها في أطباق بَتْرى خارج الجسم. وقد مكنتني تلك الطريقة من دراسة الخلايا البطانيّة دراسةً مباشرةً تحت ظروف تجريبية مختلفة، وعرفت تفاصيل جديدة تتعلق بعمل القلب والأوعية الدمويّة. وقد وفد إليَّ عدد كبير من الباحثين من أرجاء العالم لتعلّم تلك الطريقة وقاموا بدورهم بتطبيقها في دراسة الكثير من الأمراض الأخرى بما فيها أمراض السرطان وداء السكري وارتفاع ضغط الدم وأمراض المناعة الذاتيّة وروماتيزم المفاصل والجلطات الدموية والأزمات القلبية. وهكذا تحولت دراسة خلايا الأوعية الدموية إلى علم جديد قائم بذاته يسمّى "بيولوجية الخلايا الوعائية".

أما في مختبراتنا فقد بدأنا فى دراسة تفاصيل الآليات الخلوية والجزيئية المؤدية إلى التهاب الأوعية الدموية. إنّ الالتهاب فى حدّ ذاته استجابة أساسيّة لما يتعرّض له الجس من أذى وقد عُرِفَ منذ القدم بعلاماته المميزة الأربع وهي الإحمرار والسخونة والورم والألم. وكان المفهوم السائد أنّ الأوعية الدموية لا تقوم بدور إيجابي بل هي مجرد أنابيب بسيطة تنحصر مهمتها في توصيل الدم إلى موضع الأذى وليست لها أهمية تذكر في الدفاع عن الجسم. بيد أن دراستنا على الخلايا المبطّنة للأوعية أثبتت غير ذلك إذ اتضح أنّ الخلايا المبطنّة للأوعية الصغيرة تُطلق جزيئات متخصصة في جذب كرات الدم البيض بدقّة إلى موضع الأذى وبالتالي تقوم بتنسيق الاستجابة الإلتهابيّة. وقد أدى ذلك الكشف إلى إيجاد وسائل مبتكرة لتنظيم الالتهاب تمثّلت فى تطوير عقاقير جيّدة وواعدة لعلاج

تصلّب الشرايين – أهم أسباب الأزمات القلبية. وهنالك بشائر للتوصل إلى تطبيقات أخرى للكشف المبكر عن بوادر الالتهاب في الأوعية الدموية قبل بلوغ المرض مرحلة الخطر.

إلى جانب تلك التفاصيل العلمية لقصتي فقد تعلمت دروساً بسيطة مهمة أودّ أن تشاركوني فيها. أولها أنّ العلم يصنعه البشر باعتبارهم أدوات الاختراع. وبالتالي فإن التواصل بين البشر هو الوقود لذلك النشاط، كما تعلّمتُ أنّ العلاقة بين الطالب وأستاذه علاقة خاصة جداً تستدعي تفاعلاً متبادلاً ومفيداً بين الطرفين. وتعلّمتُ كذنك أنّ القيمة الحقيقية لبحوث العلوم الحيويّة الطبيّة تكمن في إمكانية، بل ضرورة ترجمتها إلى وسائل للتخفيف من آلام الإنسان. ولا شكّ أنّ الأجيال القادمة سوف تحكم على مدى نجاحنا حضارياً بمقدار ما نتمكن من تسخير المعرفة الجديدة في الطب لخدمة البشرية.

مرّةً ثانيةً أتقدّم بخالص شكري لهذا التقدير الرائع الذي شرفتني به مؤسسة الملك فيصل الخيرية والذي يسعدني ويشرفني قبوله نيابةً عن جميع زملائي وطلابي وأساتذتي وكلّ علماء الطب الحيوي في حقل بيولوجية الأوعية الدموية.
وشكراً لكم جميعاً